نص جواب منه رضي ا عنه

عن رسالة لبعض الأفاضل سأله فيها

عن إهداء ثواب قراءة شيء لولي من الأولياء، خاصة إذا كان المهدي يتقاضى مقابل ذلك أجرة ؟(1)

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله، بعد أداء ما يستحقه مقامكم المنيف من الإجلال، والإعظام المطلوب من مثلي في مخاطبة ساداته ذوي الكمال، أنهي إلى شريف علمك أنه وصلني شريف كتابك مبشرا بسلامة الأحوال، ومجددا لعهد الإخاء الذي أبرمته يد القدرة الإلهية بيننا في حالتي القرب والترحال، ونشكر المولى على معرفة أمثالكم أهل المودة الصادقة، والمحبة الفائقة، سائلا منه جل وعلا اسمه أن تكون خالصة لوجهه آمين.

وقد صرت على بال من جميع فصوله، غير أنك نظرت إلى صفاتك الحميدة المرتسمة في مرآة العبد الضعيف، فتخيلت أنها من أوصافي، فطوقتني(2) بعقود الثناء والمدح، التي أنت أولى بها مني بلا مزح، وأنتم سادتنا أهل الله قد وفقكم الله لطلب العلم الشريف، ونشأتم في حجر العفاف، وغذيتم بلبان الصفا حتى وفقكم الله الذي خلق فهدى، للتمسك بالعروة الوثقى، بالدخول في هذه الطريقة المباركة التي أبرزتها المقادير الإلهية على يد الختم المكتوم فضلا منه ومنة، والتصديق بما انطوت عليه أسرارها من أعظم النعم على العبد الذي وفقه الله مولاه، لذلك فلم يكن محروما من بركتها في هذه الأزمنة، فهنيئا لك أخي بالإنخراط في سلك أهلها، فشد على حبلها المتين، أشد من شد كف الضنين(3) على الدر(4) الثمين، طالبا من المولى أن لا يطردنا منها بمحض فضله، إنه القادر على ذلك، ثم ما ذكرته لنا من طلب الجواب عن السؤال المقرر في ذلك الكتاب، فإنه مختص بما يرجع لطريق شيخنا المحمدي، ليتمسك به المريد المقتدي، وذلك في المريد الذي رتب بأجرة منفردا أو مع جماعة في إهداء ثواب قراءة شيء لولي من الأولياء، وماذا يفعل وماذا ينوي في ذلك إن جائزا ؟

وجواب هذا السؤال أن الممنوع في هذه الطريقة المحمدية هو زيارة التعلق والإستمداد لما فيها من الإلتفات عن الشيخ الموجب للقطيعة، بل هو عين القطيعة، ولا يخفى عنك أن الزيارة هي قصد الزائر المزور لأمر ما، والقصد إما بالقلب والقالب، بمعنى أن يقصد الزائر المزور بأن

---

(1) نفس هذا السؤال وضع على فضيلة العلامة الحاج أحمد سكيرج في كتابه اليواقيت الأحمدية العرفانية ص 3 فانظره للمقارنة فإنه أجاب بالجواب نفسه.
(2) طوقتني : بمعنى أحطتني
(3) الضنين : البخيل
(4) الدر : مفرد درر وهي اللآلئ العظام

يذهب إليه بنفسه وذاته، وهذا يقطع المريد عن الشيخ الذي تقلد بقلادة عهده في التربية بالهمة وغيرها، ما لم يكن المريد متقلدا بها على وجه التبرك، فلا ينقطع لأنه ليس بمريد تربية، وإنما هو مريد تبرك، ومريدو التبرك لا يأتي منهم واحد كامل في طريقة أهل الله، كما نص عليه الإمام ابن عربي في فتوحاته المكية، وفي الشريشية.

ومن لم يكن سلب الإرادة وصفه فلا يطمعن في شم رائحة الفقر

ولاشك أن القصد بهذا المعنى ممنوع عندنا في طريقتنا التجانية، وإما أن يكون القصد بالقلب من غير استعمال الجوارح في هذه الزيارة القلبية، بأن يحصل في قلب المريد خاطر بالتعلق بشخص من أولياء الله، وتميل نفسه إلى الإستمداد منه لما له من عظيم الحرمة عند الله، فيلتفت عن شيخه بقلبه لغيره، فينقطع بذلك إن كان مريد تربية، وهذا أيضا ممنوع في هذه الطريقة المحمدية.

وقد كان بعض خاصة الشيخ رضي الله عنه يطالع بعض كتب الإمام الشعراني رضي الله عنه، فحصل في قلبه ما حصل، فبينما هو في سنة غفلته عن الشيخ رضي الله عنه إذ أحس بيد وضعت على كتفه وقائل يقول له : أشعراني أنت يا فلان، فالتفت فوجد الشيخ رضي الله عنه، فصار يتملق بين يديه، وتاب إلى الله من الإلتفات القلبي الذي وقع له، فلم يعد بعد ذلك لمثله لعناية الله به(5)، وإما أن يكون القصد بالقالب أي الذات والجسم، بأن يقصد المريد وليا من أولياء الله الأحياء أو الأموات بجسمه ليراه أو يرى مقامه، مع التعظيم المطلوب من المريد في محبة الأولياء قدس سرهم، ولم يلتفت قلبه عن شيخه الذي تمسك بحبل طريقته، فهذه الزيارة بهذا القصد لها أنواع، وهي تختلف باختلاف المريدين، ويعتبر منعها في حق العامة، ونحن من جملتهم.

وقد قال الإمام ابن عربي قدس سره : ما سامح شيخ مريده باجتماعه بغيره قط، نعم الإنسان بصيرة على نفسه إن كان يتيقن أنه لا يحصل له أدنى التفات عن الشيخ فإنه يباح له ذلك، مع وجود شروط إباحة الزيارة التي منها تعظيم المزور، وإلا فضرر هذا القصد متمكن في الغرر، وفاعله على خطر، وعلى فقد الشروط في الإباحة في هذا القصد، فلا ينقطع عن الشيخ به لأن المدار على القلب، ولم يحصل ممن فعل هذا تعلق ولا استمداد، الممنوع كل منهما، والمراد بالتعلق الممنوع جعل المتعلق به من الأولياء واسطة بينه وبين الله في قضاء مطلب من المطالب، منه أن يدعو الله له، ولو بأن يدعو له أن يكون محبوبا عند شيخه، أو أن يدعو المتعلق بجاه الولي المزور، كل هذا ممنوع في طريقتنا المحمدية، وأما التعلق بالولي الحي بأن يجعله واسطة عند السلطان، أو عند تقديمه شفاعة في قضاء مطلب دنيوي عند أحد من الناس، كما يستعمل في

(5) انظر بغية المستفيد لشرح منية المريد للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح رضي ا عنه ص 245 وانظر كشف الحجاب للعلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج رحمه ا ص 225، والشخص الذي وقعت له هذه الواقعة العجيبة هو المقدم الفاضل الذاكر الناسك سيدي الحاج عبد الرحمان برادة. وكان بمكانة مرموقة عند الشيخ رضي ا تعالى عنه، حتى إنه لا يخاطبه إلا بلفظ السيادة.

العارات، فهذا غير ممنوع لمن حقق المقصود من ذلك، والمراد بالاستمداد الممنوع اقتباس النور الباطني بالباطن، وهو التفات القلب عن الشيخ لسر ذلك الولي ليمده بسره، بمعنى أن يطلب بلسان قلبه حضرة ذلك الولي أن ترفع عنه الحجب الظلمانية حتى ينال الفتوحات الربانية، سواء قصده بالقلب والقالب في ذلك أو بالقلب فقط، لأن هذا الإلتفات يقطع المريد بلا شك عن نيل المراد من الشيخ، وفي الشريشية(6) :

فإن رقيب الإلتفات لغيره يقول لمحبوب السراية لا تسري

وأما التعلق بولي حي في تعليم مسألة علمية، والإستمداد منه في التوصل لفهم العلوم الظاهرة والباطنة أيضا من علوم القوم، فليس بممنوع قطعا، ويحتاج الطالب المطالع لهذه الحريفات الموجزة إلى مزيد التثبت في الوقوف على تحقيق المقصود من هذا التحصيل، حتى لا يفهم منه ما لم أقصده، فيقول بأني مبيح للزيارة في طريقة سيدنا رضي الله عنه، وقد أمره النبي (ﷺ) بمنع أصحابه منها.

وبتفهم ما حررناه هنا على سبيل الاختصار يتضح أن المدار الذي تدور عليه الزيارة الممنوعة في الطريقة التجانية هو التعلق والإستمداد بالقلب وحده، أو بالقلب واستعمال الجوارح المعبر عنه هنا بالقالب، أما إهداء الثواب للأولياء فينظر فيه للقلب أيضا، فإن كان ذلك كما ذكرتم في السؤال من أن ذلك إنما هو لتحصيل الأجرة سواء اضطر إليها أولا، فإنه لا ينقطع بفعله المريد الذي وقع منه ذلك، نعم إن كان ذلك بلا أجرة فهو تعرض لنوال الولي الذي أهدي إليه الثواب، ولو بالدعاء له من باب.

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاك من تعرضه الثناء

وقد حدثني سيدي ومولاي العارف بالله سيدي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه أن الفقيه العلامة المقدم الأجل أبا العباس سيدي أحمد كلا بناني(7) لما كان بالحرم الشريف بقصد الحج اجتنب

---

(6) نسبة لأحمد بن محمد بن أحمد بن خاف القرشي الصديقي السلوي الشريشي صوفي جليل، من مواليد مدينة سلا عام 581هـ، وتوفي بمصر عام 641هـ، وتسمى قصيدته المذكورة : أنوار السرائر وسرائر الأنوار، وللعلامة سيدي أحمد بن يوسف الفاسي شرح عليها، انظر ترجمته في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام لابن إبراهيم المراكشي ج 1 ص 351، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 219.

(7) العالم العلامة الفقيه المتضلع المشارك في العلوم والفهوم، المقدم الفاضل سيدي أحمد بن أحمد بناني كلا، ولد رحمه ا بفاس عام 1223هـ والذي سماه بأحمد هو سيدنا الشيخ رضي ا عنه، درس بفاس عن جماعة من أكابر علمائها، كسيدي الوليد العراقي، وسيدي عبد السلام بوغالب، وهو عمدته وسنده فيه، وكان رحمه ا إماما راتبا بالزاوية التجانية الكبرى بفاس، وورده من صلاة الفاتح لما أغلق بين النهار والليل عشرة آلاف كاملة، وكانت وفاته رحمه ا قرب شروق يوم الجمعة 8 جمادى الأولى عام 1306هـ وصلي عليه بجامع القرويين بعد صلاة الجمعة، ودفن بقباب باب الفتوح، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 193 وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 1 ص 106، وانظرها في فتح الملك العلام للعلامة الحجوجي، بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 64 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 430 رقم الترجمة 1695.

الدخول لمقامات سادتنا الأكابر من الأولياء في رحلته، فلم يدخل لضريح الإمام مالك ولا لضريح الإمام الشافعي، ولا لضريح غيرهما من ساداتنا الأولياء، وقد دخل مرة لمقام أحد الأكابر ظانا أنه ضريح أحد الصحابة الكرام، وصلى فيه ركعتين، وأهدى له ثواب شيء من الأذكار، ثم إنه بعد أن خرج من ذلك الضريح أخبر أن ذلك المقام لبعض الأولياء، وليس بضريح للصحابي الذي توهمه، فرجع إلى ذلك الضريح وقال : يا ولي الله إنني تجاني الطريقة، وكنت ظننت أنك صحابي فلذلك زرتك، والآن تحقق عندي أنك لست بصحابي، فأستقيلك زيارتي، وها أنا ذا رجعت فيها، ومالي بزيارتك ولا بما عندك غرض ولا طلب، بل يكفيني شيخي(8)، كل ذلك فعله بسكينة ووقار وإعطاء ذلك المقام حقه من الإجلال والإعظام، فانظر حفظك الله إلى رسوخ القوم في الطريقة، كي لا تزل في مورط الزلق عند ذوي الحقيقة، فوقف رضي الله عنه عندما حد له من عدم الإلتفات، ورجع عما صدر منه من غير قصد ولا افتيات، وهكذا شأن المريد الصادق فإنه لا يتزلزل قدمه عند تزلزل الأقدام، ولو اجتمع بألف شيخ كامل في كل مقام، لاسيما من كان مثل العارف بالله سيدي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه، ومع ذلك فقد سمعت ما صدر منه في استعمال الجد وفاء بعهد الشيخ رضي الله عنه. وقد كان كثيرا ما يحدثني عن نفسه في رسوخه في هذا المقام، بأن العارف بالله سيدي محمد أكنسوس(9) أحد خلفاء الشيخ رضي الله عنه كان يقول له يا فلان ويسميه : إني لا أخاف عليك ولو اجتمعت بقطب الوقت لوقوفك مع الطريق على ساق الجد، وكفى بذلك شهادة له من ذلك الخليفة الأعظم رضي الله عنه، ويدلك على صدق تلك النظرة التي نظرها فيه رضي الله عنه أنه دعته الضرورة لكتاب الجواهر الخمس، فأخبر بأنه

وفي الفكر السامي للحجوجي ج 2 ص 363، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 3 ص 27.

(8) نفس هذه الواقعة ذكرها العلامة سكيرج في كتابه رفع النقاب ج 1 ص 107.

(9) العلامة العارف بربه أبو عبد ا سيدي محمد أكنسوس رضي ا عنه، ولد بسوس سنة 1211 هـ، وهو أحد أعلام الحياة الثقافية والسياسية بالمغرب الأقصى خلال القرن الثالث عشر الهجري. وهو وزير ومؤرخ وفقيه ومحدث وشاعر وناثر، وله رحمه ا تآليف كثيرة منها كتابه : الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، ومنها الجواب المسكت الذي رد فيه على الشيخ أحمد البكاي، وغيرها. وقد أدرك رحمه ا الشيخ التجاني رضي ا عنه عند ذهابه للدراسة بفاس عام 1229هـ وكان عمره وقتذاك 18 سنة، لكنه لم يأخذ عنه الطريقة في ذلك الإبان نظرا لانشغاله بتحصيل العلوم الرسمية، وأخذها سنة 1238هـ عن العارف بربه سيدي محمد الغالي أبي طالب، ثم أجازه فيها جماعة من أكابر الأفاضل بفاس وغيرها، وتوفي رحمه ا في متم شهر محرم الحرام عام 1294هـ. انظر كتابنا : ترجمة معلمة معالم سوس أبي عبد ا سيدي محمد أكنسوس. وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 328 وفي الإستقصا للناصري ج 1 ص 161 وفي النبوغ المغربي لعبد ا كنون ج 1 ص 317 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 404 رقم الترجمة 1623، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 19. وفي فتح الملك العلام للعلامة الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 43، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 25، وفي الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام لابن إبراهيم المراكشي ج 7 ص 8، وفي فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان لمحمد غريط ص 8-40، وفي رجالات العلم العربي في سوس للمختار السوسي ص 207، وخصصه العلامة الحجوجي بتأليف مستقل سماه : بهجة النفوس في ذكر بعض مناقب سيدي محمد أكنسوس.

عند علامة وقته قاضي الجماعة الفاسية، وشيخ شيوخنا ذوي المناقب الفاشية، الشريف العلوي مولاي محمد(10)، القاضي المشهور فضله عن التنويه به، فذهب إليه قبل أن يتعرف إليه بقصد طلبه من عنده، فبمجرد ما اجتمع به قبل أن يتفاوض معه في شأن الكتاب المذكور، قام مولاي محمد القاضي وأخذ الكتاب بيده وأتى به إليه، ودفعه إليه، وقال له : هل تعرف هذا ؟ ففتحه فوجده الكتاب المقصود، فقال له : يا سيدي هذه بغيتي المطلوبة منك، ثم أخذه وذهب به وقضى منه وطره، وصار يتردد إليه مرارا حتى وقعت يوما بينهما المفاوضة في بعض الأسرار العالية، فصار الشريف القاضي، وكان من الكمال رضي الله عنه، يلين جانبه ويستتر بإرخاء جلباب الخمول عليه، حتى لا يشعر العارف بالله مولاي أحمد العبدلاوي بأنه من الأولياء، فلم يمكن الحال للعارف بالله مولاي أحمد العبدلاوي حتى قال له : والله العظيم يا مولاي محمد إني لا أشك في ولايتك، وإني تجاني الطريق، وأنت على حالك وأنا على حالي، فقال مخاطبا له وهو يبتسم بماذا تحققت ذلك، فقال له : إني نسيت الكتاب الذي جئت لأطلبه منك وأعطيته لي من غير سؤال، فقال له إنما ذلك وقع من تصريف همتك في، فقال له : لا والله لا أشك في ذلك وأنت على حالك وأنا على حالي، فقال له الشريف المذكور رضي الله عنه : الآن أعلمك بالصدق، إنني ليس لدي شك في كل من دخل لزاوية العارف بالله مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه أنه من الأولياء، وإني لست بتجاني الطريقة، والسر الذي عندي ورثته من جدي عند وفاته، ومع ذلك فالسر الذي أشاهده لا يأتي إلا على يد مولانا أحمد رضي الله عنه إهـ..

فأنت تعلم مما ذكرنا ما وصل إليه الكمال من رسوخ القدم، مع تحقق العارف المذكور بما شهد له به الخليفة المذكور، وتزداد به نورا على نور التصديق، الذي أتى بك للسلوك على هذه الطريق، والله أسأل أن يجعلنا من خاصة خاصته، وفي هذا كفاية في جواب هذا السؤال، وبه يفهم المقصود منه والعلم لله الكبير المتعال.

---

(10) قاضي الجماعة بفاس أبو عبد ا   سيدي محمد بن عبد الرحمان الفيلالي المدغري، كان آية في الحفظ والإتقان والتحرير العجيب، توفي عام 1299هـ، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 406 رقم الترجمة 1629. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 359 رقم الترجمة 800.